سكان أصليون.. لا ضيوف

Posted on 22/11/2024 by Canada Talks

Category: محليات

في كندا، يعكس السكان الأصليون الفهم العميق للأرض. رغم التحديات التاريخية والسياسات التي حاولت طمس هويتهم، يحتفظ السكان الأصليون بعاداتهم واحتفالاتهم وطقوسهم التي تحيي صلتهم بالطبيعة والمجتمع. ثقافاتهم ليست مجرد إرث تقليدي، بل هي طريقة للحياة تحاول الصمود في وجه ضغوط الحداثة وتعديات الاستعمار، التي كانت لها آثار طويلة المدى على مجتمعاتهم.

إنهم، هنا، جزء أساسي من تاريخ البلاد وثقافتها، لكن قصتهم ليست واحدة من التعايش البسيط، بل هي قصة معقدة من الصراع والتجاذب والتميز. يُعرف السكان الأصليون في كندا بثلاث مجموعات رئيسية: الأمم الأولى، الإنويت، والميتي. لكل مجموعة تاريخ وثقافة فريدة، وتعتبر قضاياهم اليوم واحدة من أبرز التحديات الاجتماعية والسياسية في كندا، حيث يسعى العديد من السكان الأصليين للحفاظ على تراثهم الثقافي وممارسة حقوقهم القانونية وسط إطار الدولة الكندية الحديثة.

تاريخ السكان الأصليين في كندا يعود لآلاف السنين، قبل وصول المستوطنين الأوروبيين في القرن الخامس عشر. كانت لديهم مجتمعات متطورة وأنظمة سياسية خاصة، وحين وصل الأوروبيون، دخلوا في علاقات معقدة شملت التجارة والمعاهدات وأحيانًا الصراعات. ومع توسع المستوطنين، بدأت السياسات الاستعمارية التي استهدفت السكان الأصليين، حيث أُنشئت مدارس داخلية تهدف إلى "استيعابهم" و"تحويلهم" إلى المسيحية، ما أدى إلى انفصال الآلاف من الأطفال عن عائلاتهم وثقافتهم. وقد استمرت هذه المدارس الداخلية، التي يُعتبر اليوم وجودها وصمة في تاريخ كندا، حتى أواخر القرن العشرين. في عام 2008، قدمت الحكومة الكندية اعتذاراً رسمياً، وأطلقت بعدها برامج لدعم المتضررين من تلك الحقبة.

يصل عدد السكان الأصليين في كندا إلى نحو مليون وسبعمئة ألف شخص، ما يشكل حوالي خمسة في المئة من إجمالي سكان البلاد. يعيش العديد منهم في المناطق الشمالية والمقاطعات الغربية، مثل ألبرتا، كولومبيا البريطانية، والأقاليم الشمالية الغربية، بينما ينتشر آخرون في المجتمعات الحضرية. ومعظم السكان الأصليين يتبعون ديانات تقليدية، تعتمد على طقوس ترتبط بالطبيعة وعبادة الأسلاف، فيما يعتنق آخرون المسيحية، نتيجة للنفوذ التاريخي للمستعمرين الأوروبيين.

معاملة السكان الأصليين من جانب الدولة الكندية تعد قضية معقدة. في الماضي، فرضت الحكومة سياسات تمييزية تستهدف تقويض ثقافتهم وهويتهم، بينما اليوم تسعى كندا بكل قوتها لتصحيح هذا الإرث، عبر اعترافات دستورية تمنح السكان الأصليين حقوقًا في الأرض والمياه ومشاركة في صنع القرار. في السنوات الأخيرة، أطلقت الحكومة برامج لتعزيز التعليم والصحة والبنية

التحتية في مجتمعات السكان الأصليين، إلى جانب جهود لتمويل مشاريع تهدف للحفاظ على ثقافتهم وتراثهم.

يعتبر السكان الأصليون كندا موطنهم، لكن جزء منهم يرون أن الدولة الحديثة لم تفِ بوعودها تجاههم. يتطلع الشباب من الأمم الأولى، الإنويت، والميتي إلى مستقبل أفضل، مدفوعين بتراثهم وهويتهم الثقافية. بالنسبة للكثيرين، الحفاظ على لغاتهم وثقافتهم وعاداتهم أمر بالغ الأهمية، ويشكل جزءاً من جهودهم المستمرة لضمان العدالة والمساواة في المجتمع الكندي.

في المقابل، تسعى الحكومة الكندية لتقديم إغراءات متزايدة تهدف إلى تحسين ظروف المعيشة للسكان الأصليين، وتشجيعهم على الانخراط في سوق العمل ومجال التعليم. تشمل هذه الإغراءات منحاً تعليمية، وفرص تدريبية خاصة، وبرامج تمويل لدعم المشاريع الصغيرة وتطوير المهارات.

من خلال هذه المبادرات، تأمل الدولة في تحسين مستويات المعيشة وتوسيع آفاق العمل للسكان الأصليين، خاصة في المجتمعات الريفية والمناطق النائية. كما تقدم الحكومة برامج دعم للطلاب من السكان الأصليين، تتيح لهم إكمال دراستهم الجامعية أو المهنية دون تكاليف، بالإضافة إلى تمويل مشاريع تنموية تستهدف تحسين البنية التحتية والخدمات الصحية في مجتمعاتهم.

يحتفل السكان الأصليون في كندا بـ"يوم الشعوب الأصلية الوطني" في 21 يونيو من كل عام، وهو اليوم الذي يعترف رسمياً بتاريخهم وثقافتهم وإسهاماتهم في المجتمع الكندي. يُعتبر هذا اليوم، الذي تزامن مع أطول يوم في السنة، فرصة للاحتفال بتنوع ثقافات السكان الأصليين وتقاليدهم عبر البلاد. تشهد الاحتفالات عروضاً فنية وأداءات موسيقية ورقصات تقليدية، وتُقام ورش عمل تعليمية ومهرجانات في العديد من المدن والمجتمعات، مما يعزز الفهم والاحترام لتاريخ الشعوب الأصلية وتراثهم الحي.

ويتعامل السكان الأصليون في كندا بالدولار الكندي، مثل باقي الكنديين، ولا توجد عملة خاصة بهم. ومع ذلك، فإن بعض المجتمعات الأصلية، خاصة في المناطق الشمالية المعزولة، تميل إلى استخدام أنظمة تبادل تجارية غير رسمية، تتناسب مع حياتهم التقليدية، حيث يتبادل السكان الموارد المحلية بدلاً من العملات.

في ما يتعلق بنظام الحكم، تتبع كندا نموذج الحكم الفيدرالي والديمقراطي، إلا أن بعض المجتمعات الأصلية تمارس درجة من الحكم الذاتي، فيتمتع العديد من مجتمعات السكان الأصليين بمجالس محلية تُنظم شؤونهم الداخلية، وفق تقاليدهم وقوانينهم. الحكومة الكندية تعترف بحق هذه المجتمعات في الإدارة الذاتية لشؤونهم الخاصة، وتُجرى اتفاقيات رسمية بين الحكومة الفيدرالية وممثلي الشعوب الأصلية، لمنحهم حقوقاً خاصة في إدارة أراضيهم ومواردهم، مما يعكس درجة من الاحترام لسيادتهم التقليدية.

"أكثر عدالة"

قبل ثلاث سنوات، دخلت كندا حقبة جديدة من المصالحة التاريخية، عبر تعيين ماري سيمون كأول حاكمة عامة من السكان الأصليين. نشأت سيمون في مجتمع الإنويت في شمال كيبيك، في بيئة صقلتها الطبيعة، حيث تعلمت أهمية الترابط مع الأرض والتراث الثقافي لمجتمعها. هذه الجذور العميقة أثرت على مسيرتها الطويلة، كمدافعة عن حقوق السكان الأصليين، حيث عملت على تحقيق العدالة الاجتماعية والتعريف بقضاياهم على الساحتين الكندية والدولية.

بدأت رحلتها المهنية كصحفية، لكنها سرعان ما انتقلت إلى العمل السياسي والدبلوماسي، حيث لعبت سيمون دوراً مهماً في التفاوض حول "اتفاقية جيمس وخليج هدسون الشمالية"، التي منحت حقوق الأرض والإدارة الذاتية للإنويت. كما شغلت مناصب في منظمات دولية تعنى بقضايا المناخ والشعوب الأصلية، مما أكسبها مكانة مرموقة كشخصية رائدة في تعزيز حقوق مجتمعات السكان الأصليين.

في منصبها كحاكمة عامة، تركز سيمون على تعزيز المصالحة بين كندا والسكان الأصليين، وتعهدت بأن يكون هذا المنصب منصة لتعزيز العدالة ومواجهة التحديات الاقتصادية والاجتماعية التي تواجه مجتمعاتهم. ورغم أنها لا تتحدث الفرنسية بطلاقة، إحدى اللغتين الرسميتين لكندا، أظهرت التزامها بتعلمها، ما لاقى ترحيباً لافتاً من المجتمع الكندي. يُنظر إلى ماري سيمون اليوم كرمز للتغيير، وجسر يوحد الكنديين تحت مظلة التنوع والاحترام المتبادل، في خطوة تفتح الطريق نحو كندا أكثر عدالة.